تداولات سورة المجادلة

obeikandl.com

obeikandl.com

سورة المجادلة

هي أُولى سور الجزء الثامن والعشرين في المصحف الشريف وهي مدنية كلها[1].

والمجتمع المدني كان صنوفًا شتى من الناس...

هناك المؤمنون الذين يصنعهم الوحي ليقودوا قافلة الإيمان في المشارق والمغارب.

وهناك الوثنيون المتعلقون بأذيال الليل المدبر.

وهناك اليهود الذين يعبدون جنسهم ويريدون فرض أهوائهم على الناس.

وهناك المنافقون الذين يجرون وراء مصالحهم ويَظْهرون في ألف لون!!!

موضوع السورة :

هذه السورة على وجازتها تعرضت لأولئك جميعًا، فقد بينت قضية الظهار وهو من شئون الأسرة المسلمة، وبينت أنه ليس طلاقًا، وذكرت كفارته.

والإسلام يهتم بشئون الأسرة، ويوضح حدودها، فيقول هنا: ﴿وتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤].

ويقول في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، بعد أحكام الطلاق. ويقول في سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [النساء: ١٣]، بعد أحكام الميراث.

وهذه الحدود شيء آخر غير العقوبات المقدرة على بعض الجرائم. ثم تحدثت عن موضوع التناجي، وآداب المجالس، وتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ وعدم موادة أعداء الله.

هذا الجزء الثامن والعشرون تضمن خمسة عشر نداءً للمؤمنين، منهم ثلاث في سورة المجادلة:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٦٠).

الأول: التذكير بحضور الله - سبحانه - وشهوده لكل نجوى في خلوة.. يقول الله - تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المجادلة:٩].

الثاني: في آداب مجالس العلم والذكر..﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ..﴾ [المجادلة: ١١].

الثالث: في السؤال والحديث مع الرسول ﷺ، وذلك في قوله - تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ...﴾ الآيات [المجادلة: ١٢، ١٣].

من أسلوب القرآن أن يمزج الأحكام بالعقائد؛ ليجعل التزامها جزءًا من الإيمان، ومظهرًا لإجلال الله، ولذلك ذكر بعد قضية الظهار قوله - تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٧، ٨].

* * *

التذكير بأن الله على كل شيء قدير

النداء الأول

يقول الله - تعالى- :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ٩، ١٠].

صلة الآيات بما قبلها :

بعد أن أخبر ﷻ أنه عليم بكل الكائنات محيط بها فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ... ﴾ وبيَّن أن بعض الناس يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

أمر المؤمنين- هنا - بأن يكون تناجيهم بالبر والتقوى وليس على نَهج السابقين.

معاني المفردات والتراكيب :

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾: الرؤية هنا قلبية، تفيد العلم واليقين، وقد تكون بصرية إذا كان المراد: رؤية المخلوقات الدالة على قدرة الله - تعالى- وعلمه وإرادته.

﴿ مِن نَّجْوَى ﴾ أي: من حديث سرٍّ، والأصل في ذلك: التنحي بعيدًا على مرتفع من الأرض ليتيسر التحدث سرًّا بعيدًا عن الخلق.

﴿ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أي: أنهم حينما يدخلون على رسول الله ﷺ يتعدون الحدود الشرعية في التحية، ويحيونه بأسلوب غير شرعي.

﴿ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ﴾: (لَوْلا) لا يراد بها التخصيص، وليست حرف امتناع لوجود، بل هي بمعنى هل الاستفهامية على سبيل الشك أو السخرية.

﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: تكفيهم ولا يستطيعون الفكاك منها [1].

---

(١) راجع هذه المواد اللغوية في لسان العرب .

من لطائف القرآن الكريم :

الأولى: في قوله - تعالى-: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ﴾ إشارة إلى تجدد المعلوم وليس العلم؛ لأنه مخالف لعلم الخلق.. فكلما حدثت الرؤية العلمية أو البصرية من المخلوقات وجدوا آثارًا متجددة لعلم الله - تبارك وتعالى - والأصل في هذا وأمثاله قوله - تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

الثانية: في قوله ﷻ : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أسلوب قصر، وطريقه: النفي والاستثناء، والمعنى: ما من حالة من حالات التناجي إلا والله مطلع عليها، لا يشذ عن ذلك شيء.

الثالثة: الجمع بين الإحاطة العلمية، والإخبار من الله - تعالى- لكل عامل بما عمل من أقوى أساليب الوعيد، لأن المرء إذا علم أن الله مطلع عليه، وسيحاسبه كان مراقبًا لله في كل ما يعمل أو يدع، وربما كان ذلك زاجرًا له عن اقتراف المعاصي.

الرابعة: في أفعال المضارعة: **(ألم تر، ثم يعودون، ويتناجون، ويقولون، لولا يعذبنا الله، بما نقول)** إشارة إلى الاستمرار وتجدد الأفعال، ولو أنّهم عادوا إلى الحق سريعًا ما استحقوا هذا الوعيد الشديد الذي ترتب على إصرارهم.

الخامسة: في مناداة المؤمنين بجملة الموصول﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا..﴾ باعث لهم على الامتثال خصوصًا وقد خُتمت الآية بالأمر بالتقوى والتذكير بالحشر: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ .

سبب النزول :

١- كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنّهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم، فترك طريقه عليهم. فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا

عَنْهُ ﴾[١].

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ نبيت عنده، يطرقه من الليل أمر، وتبدو له حاجة. فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون[٢]، حتى كنا أندية[٣] نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ما هذا النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟**» قلنا: تبنا إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح[٤]؛ فرقًا منه. فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه**»؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل**»[٥].

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. فقالت عائشة: وعليكم السام. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**» قلت: ألا تسمعهم يقولون: السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أو ما سمعت أقول: وعليكم**» فأنزل الله: ﴿ وإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾[٦].

وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: «**عليكم السام والذام واللعنة. وأن الرسول ﷺ قال: إنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا**»[٧].

٤- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم، فردوه عليه، فقال نبي الله ﷺ: «**هل**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/٦٨).

(٢) النوب: جمع نوبة؛ وهي المرة المتكررة.

(٣) أندية: جمع نادي: وهو الجمع من الناس.

(٤) أي: كانوا يتذاكرون فتنة المسيح الدجال، كما جاء في حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٥) **حسن**: رواه أحمد في مسنده (٣/٣٠) حديث (١١٢٧٠)، والحاكم في المستدرك مختصرًا (٤/٣٦٥) حديث (٧٩٣٦). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٩). **ولمكان رجل**: أي: يعمل رياءً. وانظر: تفسير القرآن العظيم (٨/٦٨).

(٦) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٦/٢٢٩) حديث (٢٥٩٦٦)، والبيهقي في الشعب (٦/٥١١) حديث (٩٠٩٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٢٦).

(٧) رواه البخاري، كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا، حديث (٦٠٣٠)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، حديث (٢١٦٥).

تدرون ما قال؟)) قالوا: سلم يا رسول الله. قال: ((**بل قال: سام عليكم**)) أي: تسامون دينكم. قال رسول الله ﷺ: ((**ردوه**)) فردوه عليه، فقال نبي الله: ((**أقلت: سام عليكم**))؟ قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: ((**إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك**)) أي: عليك ما قلت[1].

الأحكام الفقهية :

الحكم الأول: حكم الإيمان بعلم الله - تعالى --:

ومما يجب الإيمان به: أن الله - تعالى- متصف بصفات الكمال، ومتنَزه عن صفات النقص، ومن بين صفات الكمال: أن الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

أما من نفى ذلك أو شك فيه فقد كفر كفرًا بواحًا، يستتاب ثلاثة أيام فإن تابَ تاب الله عليه، وإن لم يتب قتل؛ لحديث: ((**من بدل دينه فاقتلوه**))[2].

والعقل كذلك قاضٍ بأن الله - سبحانه - متصف بجميع صفات الكمال، والدليل على ذلك: وجود هذا العالم الذي هو غاية في الدقة والنظام، إذ لو كان الله - تعالى- جاهلاً لاختل النظام وسقطت السموات والأرض.. يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

الحكم الثاني: في أحوال النجوى:

والأصل في النجوى: أنها منهي عنها؛ لما يترتب عليها من سوء ظن أو إيغار صدر، أو حزن قلب، أو فساد مودة، أو امتعاض نفس.. وكل هذا يخالف قوله - تعالى-: ﴿ والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المجادلة، حديث (٣٣٠١)، وأحمد بنحوه في مسنده (٢١٤/٣) حديث (١٣٢٦٣) . وصححه الألباني في صحيح الترمذي . وانظر: جامع البيان (١١/٢٧) .

(٢) سبق تخريجه .

ويخالف قوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[١].

أما إذا كانت هناك ضرورة تقتضي أن يتناجى اثنان دون غيرهما فلا بأس إلا أنه ينبغي الاستئذان.. ومن جملة القواعد الفقهية «**الضرورات تبيح المحظورات**».

ومما جاء في ذلك قوله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه**»[٢].

وعن صفوان بن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يُعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم، ألا لعنة الله على الظالمين**»[٣].

الحكم الثالث: في التحية:

ومما شرعه الإسلام عند التلاقي: أن يُحيي بعضُهم بعضًا فيقول: السلام عليكم - أو عليك - ورحمة الله وبركاته. ويجيب الثاني: وعليكم - أو وعليك - السلام ورحمة الله وبركاته.. فإن اكتفى بقوله: وعليكم السلام. أو: وعليكم السلام ورحمة الله.. لكان كافيًا.

قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة، حديث (٦٢٩٠)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث دون إذنه، حديث (٢١٨٤)، وابن ماجه، حديث (٣٧٧٥) .

(٣) رواه البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: قول الله تعالى: ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾. حديث (٢٤٤١)، ومسلم كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث (٢٧٦٨)، وابن ماجه، حديث (١٨٣) . وانظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٧٠) .

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ .

وفي الحديث: «**أمُرنا بسبع ونُهينا عن سبع.. أمُرنا بإجابة الداعي، ونصرة المظلوم، ورد السلام...**»[1].

وإذا كان البدء بالسلام للمسلمين سنة، فإن رد السلام واجب شرعي، يؤخذ هذا الوجوب من الأمر في قوله - تعالى-: ﴿ .. فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا.. ﴾، ومن قوله ﷺ: «**أمرنا بسبع..**».

أما إذا حُرفت هذه التحية، كما فعل اليهود والنصارى، وكما مرّ في أسباب النُّزول وكما يفعل كثير من العامة... فإن هذا التحريف يكون وبالاً على أصحابه...

وهذا الذي يحرف الكلم عن مواضعه.. إن كان عمداً وسخرية فهذا كفر بواح، وإن كان جهلاً، فليُعلمه المسلمون أمور دينه حتى تقام عليه الحجة، فإن تاب تاب الله عليه. وإن لم يتب لحق بالصنف الأول.

الحكم الرابع: في الإيمان باليوم الآخر:

هذه العقيدة من أركان الإيمان، فإن صحت قام الإيمان واستقام، وإن فسدت ضاع العمل كله وتلاشى الثواب.. يقول الله عز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقال - سبحانه وتعالى-: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن الأدلة على أحقية هذه العقيدة قوله - تعالى-: ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ وكذلك في حديث جبريل عليه السلام[2].

المعنى الإجمالي :

يخبر الله - تعالى- عن سعة علمه وإحاطته بما في السموات والأرض من دقيق وجليل. وأنه يعلم كل شيء، ولذا ما يكون من تناجى ثلاثة أو

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الأمر بإتباع الجنائز، حديث (١٢٣٩)، ومسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، حديث (٢٠٦٦)، والترمذي، حديث (٢٨٠٩) .

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث (٨) .

أكثر أو أقل إلا كان الله معهم بمعية علمه - جل وعلا -.

قال الإمام أحمد: افتتح الله الآية بالعلم وختمها بالعلم.

والنجوى كما تكون في الشر تكون في الخير.. قال عز من قائل: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. وفيما عدا ذلك فالتسار [١] خصوصًا في وجود الآخرين أمر مذموم، يسول به الشيطان ليقع سوء الظن بين الناس ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾.

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: أي يتحدثون فيما بينهم بالإثم، وهو ما يختص بهم، **(والعدوان)**: وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها [٢].

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ أي: يستقبلونك بتحية مخالفة للدين الحق ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ على سبيل الاستهزاء أو الإنكار: هل يعذبنا الله بما نقول ؟

يقول الإمام - الشهيد - سيد قطب في تفسير هذه الآية: ظاهر من سياق السورة ومن مطلعها: أن الله قد أخبر الرسول ﷺ بما كانوا يقولونه في أنفسهم، وبمجالسهم ومؤامراتهم، فقد سبق في السورة إعلان أن الله قد سمع للمرأة المجادلة، وأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم.. إلخ مما يوحي بأنه أطلع رسوله ﷺ على مؤامرات أولئك المنافقين وهو حاضر مجالسهم، وبما يقولونه كذلك في أنفسهم [٣].

وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا نبيًا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن، لأن الله يعلم ما نسره، فلو كان هذا نبيًّا حقًا لأوشك الله أن يعاجلنا بالعقوبة في الدنيا، ومعنى هذا أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، على أن ما يقولونه غير محذور.

قوله - تعالى -: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

---

(١) محاولة إخفاء الحديث عن الآخرين حتى يكون سرًّا.

(٢) تفسير ابن كثير (٦٨/٨).

(٣) الظلال (٣٥٠٩/٦).

المناسبة: لما فعل اليهود والمنافقون ما فعلوا، وقالوا ما قالوا بين الله ﷻ أنه يمهل ولا يهمل، وأنه يملي حتى إذا أخذ كان أخذه أخذ عزيز مقتدر، فقال: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

والمعنى: تكفيهم جهنم التي جمعت كل عذاب وشقاء عليهم، تحيط بهم من كل جانب، ويعذبون في كل ناحية من أنحائها، فبئس المصير مصيرهم.

قوله - تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

المناسبة: بعد أن بيّن الله ﷻ سوء مغبة ما فعله اليهود والمنافقون، أدب المؤمنين فأمرهم أن لا يفعلوا مثل فعل أولئك من التناجي بالإثم والعدوان ومعاداة الرسول ﷺ والمسلمين، وأن يقصروا التناجي على البر والتقوى.

والتناجي قسمان: محمود ومذموم.

ومن الأول في غير هذا الموضع قوله - تعالى-: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

ومن الثاني في غير هذا الموضع أيضًا قوله - تعالى-: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٧].

وقوله - تعالى-: ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ [طه: ٦٢].

وقوله - تعالى-: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣].

وكانت نجوى أولئك كما يقول صاحب موسوعة نضرة النعيم [١]: اتهامهم للرسول ﷺ بأنه ساحر، وأنه يأتي بأساطير الأولين.

وقد دحض الله - تعالى- شبهتهم ببيان مصدر كلامه ﷺ حيث

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٥٥٩٨/١١) .

قال: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٥-٦].

وقد بينت السنة المطهرة علة النهي عن التناجي المذموم، فعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه**»[1].

وقد فسر العلماء البر بالخير عامة، وقد ذكر القرآن العظيم كل خصال الخير في قوله - تعالى-: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والتقوى لها تعريفات كثيرة، منها: اليقظة والرقابة لله - سبحانه -.

ومنها: الخوف من الجليل والعمل بالتنْزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

ومنها: إتباع الأوامر واجتناب النواهي.

ومنها وهو أجمعها: التبري من كل ما سوى الله إلى الله.

وفي ختم الآية بقوله: ﴿ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ إشارة إلى أنه - جل جلاله - يحاسب على القليل والكثير، بل وعلى الفتيل والنقير والقطمير، وأن العبد إذا لم يشمله عفو الله - تعالى- وكرمه، فإنه لا محالة هالك.

روى الإمام أحمد عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر - رضي الله عنهما - إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يعطى**

---

(١) سبق تخريجه .

كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم، ألا لعنة الله على الظالمين» [1].

ومعنى الآية: يا أيها الذين رضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول كما هو شأن اليهود والمنافقين، ولكن تناجوا بأعمال الخير وفعل الطاعات، واحذروا يومًا تحشر فيه الأجساد إلى رب العباد، وتجازى كل نفس بما اكتسبت إن كان خيرًا فخير وإن كان شرًّا فشر.

ثم بين - جَلّ شأنه - مصدر النجوى، والغرض منها، والوقاية من شرها فقال: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

ومناسبة نزول هذه الآية كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - نزل قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى... ﴾ الآية، في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنُهم، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم فنَزلت الآية.

والمعنى: إن نجوى المنافقين واليهود بما يسوء المؤمنين ويغمهم من وساوس الشيطان وبدعائه وإغوائه، وهو إنما يفعل ذلك ليحزن الذين آمنوا، وليست النجوى ولا الشيطان بضارة المؤمنين شيئًا إلا ما قدره الله عليهم، وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على ربّهم، فمن توكل على الله كفاه.

(١) سبق تخريجه، وهو في الصحيحين من حديث قتادة .

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

١- أن التناجي بالإثم والعدوان من خصال أعداء الإسلام ومكرهم.

٢- أن التناجي بالبر والتقوى من آداب المؤمنين بالله ورسوله.

٣- أن الخوف من الله - تعالى- واجب في كل وقت وحين.

٤- أن منشأ التناجي بالإثم والعدوان هو الشيطان عدو الإنسان.

٥- أن الشيطان والمنافقين واليهود والبشرية لو اجتمعوا على أن يضروا الإنسان بشيء ما ضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

٦- أن التوكل على الله - تعالى- بعد الأخذ في الأسباب مصدر سعادة المرء في دينه ودنياه.

* * *

obeikandl.com

النداء الثاني

من آداب المؤمنين في مجالس العلم والذكر

قال الله - تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

ربط الآية بما قبلها:

لما نهى الله - سبحانه وتعالى - عباده المؤمنين عما يكون سببًا للتباغض والتنافر، أمرهم في هذه الآية بما يكون سببًا لزيادة المحبة والمودة، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدي الحرص على القرب من رسول الله ﷺ والجلوس بين يديه حرصًا على استماع كلامه، فأمروا بالتوسعة على إخوانهم في المجلس تطيبًا لقلوبهم.

وهذا هو السر في مجيء هذه الآية عقب آيات النهي عن التناجي بالإثم والعدوان، والأمر بالتناجي بالبر والتقوى [١].

المفردات والتراكيب:

التفسح: الاتساع في المكان، والتفسح والتوسع واحد، وفسح له في المجلس يفسح فسحًا، ومكان فسيح، وفي صفة النبي ﷺ كان فسيح ما بين المنكبين - أي بعيد ما بينهما لسعة صلبه -.

﴿ انشُزُوا ﴾: أي قوموا، والنشز: المرتفع من الأرض، ومنه نشوز المرأة على زوجها، وينشُز وينشز مثل يعكُف ويعكِف ويعرُش ويعرِش.

مناسبة النزول :

وفي مناسبة نزول هذه الآية يقول قتادة رحمه الله: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يُفسح بعضهم لبعض.

وقال المقاتلان [٢] كان رسول الله ﷺ في الصفة [١] وفي المكان

---

(١) آيات الأحكام للصابوني بتصرف بسيط.

(٢) مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حبان .

ضيق، وذلك يوم الجمعة، وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا[٢] عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «**قم يا فلان، قم يا فلان**». بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف الكراهية في وجوههم، وقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله ما عدل على هؤلاء، إن قومًا أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم. فنَزلت الآية[٣].

دفع إيهام الخلاف:

إن قول النبي ﷺ وفعله، وتقريره، قبل أن يكون سنة متبعة عنه، فهو وحي من الله - تعالى-؛ لقوله جل شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقد عاتب الله - تعالى- حبيبه ﷺ أن أقبل على رؤساء قريش وأعرض عن ابن أم مكتوم، على الرغم من أن مقصده ﷺ تأليف قلوب أولئك المعاندين، أما هذا فهو من المهتدين.

فإذا أقام النبي ﷺ أحدًا من مكانه، وأجلس آخر، فالذي أقام وأجلس في الحقيقة هو الله العليم الحكيم.

وما ورد في الصحيحين من النهي عن أن يقيم الرجلُ الرجلَ من مكانه ليجلس فيه، ليس متعارضًا مع مفهوم الآية، فالمقيم في الحديث ليس هو الله - تعالى- ولا رسوله ﷺ ولا ولي الأمر الذي يتتبع حكمة التشريع، والدليل على ذلك ختم الحديث بمعنى الآية، حيث قال: «**ولكن**

---

(١) مكان في المسجد النبوي الشريف.

(٢) وفي نسختين: وما ردوا.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٧/٢٩٧)، وتفسير ابن كثير (٤/٣٢٥).

تفسحوا وتوسعوا»[١].

وبمثل ذلك يقال في الحديث الذي يحث القادم على ضرورة استقراره حيث انتهى به المجلس، فلا يتخطى الرقاب ليأخذ مكانًا في الصدر، فكل واحد من عامة الناس أحق بالمكان الذي سبق غيره إليه.

ولا يباح للإنسان أن يأمر غيره بالقيام من مكانه ليجلس مجلسه للحديث الذي سبق ذكره، كما أن الإنسان إذا قام من مجلسه لحاجة ثم رجع إليه فهو أحق به؛ لقوله ﷺ: «**من قام من مجلسه، ثم رجع إليه فهو أحق به**»[٢].

يقول القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه.

معيار التقدم :

دلت الآية الكريمة على وجوب التوسعة في المجلس للقادم عامة، وهذا من مكارم الأخلاق التي أرشد إليها الإسلام، ولكن الله ﷻ فضل بعض الناس على بعض، ورفع بعضهم على بعض درجات؛ لكونه ممن شهد بدرًا، أو لكونه من ذوي العلم والفضل من المهاجرين والأنصار.

روى ابن العربي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: بينا رسول الله ﷺ في المسجد، وقد طاف به أصحابه، إذ أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوقف وسلم، ثم نظر مجلسًا يشبهه، فنظر رسول الله ﷺ في وجوه أصحابه أيهم يوسع له، وكان أبو بكر رضي الله عنه جالسًا على يمين النبي ﷺ فتزحزح له عن محله، وقال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس، حديث (٦٢٧٠)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح، حديث (٢١٧٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب: السلام، باب: إذا قام من مجلسه ثم عاد، حديث (٢١٧٩)، وأبو داود، حديث (٤٨٥٣)، وابن ماجه، حديث (٣٧١٧).

بين النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، إنما يعرف الفضل لأهل الفضل، ذو الفضل[١].

وثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - على الصحابة وفيهم من هو أسن منه، فكلموه في ذلك، فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فسكتوا، فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. ثم قال: بهذا قدمت الفتى[٢].

وروى الإمام أحمد عن أبي الطفيل، أن نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب -بعسفان - وكان عمر استعمله على مكة، فقال له عمر: مَن استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزي رجل من موالينا. فقال عمر رضي الله عنه: استخلفت عليهم مولى؟ قال: يا أمير المؤمنين إنه قارىء لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض. فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين**»[٣].

وقد أشاد القرآن بمنْزلة العلماء الرفيعة، ومكانتهم السامية عند الله - تعالى- حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وبينت السنة المطهرة درجتهم في الدار الآخرة، حيث قال ﷺ: «**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليُحيي به الإسلام، فبينه وبين النبيين درجة**»[٤].

وما أحسن ما ذكره بعض الأدباء من مناظرة بين العقل والعلم حيث قال:

---

(١) **موضوع:** رواه القضاعي في الشهاب (١٩١/٢) حديث (١١٦٤) . وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٦٨): موضوع . وانظر: أحكام القرآن لابن العربي .

(٢) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: فسبح بحمد ربك واستغفره . حديث (٤٩٧٠)، والترمذي، حديث (٣٣٦٣) .

(٣) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن، حديث (٨١٧)، وابن ماجه، حديث (٢١٨) . وذكره ابن كثير في تفسيره.

(٤) **ضعيف:** رواه الدارمي في سننه (١١٢/١)، حديث (٣٥٤)، وانظر كشف الخفا (٣١٨/٢).

علم العليم وعقل العاقل اختلفا من ذا الذي منهما قد أحرز الشارفا؟
فالعلم قال : أنا أدركت غايته والعقل قال : أنا الرحمنُ بي عُرفا
فأفصح العلم إفصاحًا وقال له بأينا اللّه في فرقانه اتصفا؟
فبان للعقل أن العلمَ سيدُه فقبل العقلُ رأسَ العلمِ وانصرفا

ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا باللّه وبالرسول، إذا اجتمعتم في مجلس من مجالس اجتماعاتكم، واحتاج بعضكم أو بعض القادمين عليكم للتفسح والتوسعة في المجلس، فإن من مكارم الأخلاق ومجالس الآداب أن توسعوا له حتى ينال مراده، وإذا قال ولي أمركم لواحد أو جماعة منكم: ارتفعوا وقوموا ووسعوا لإخوانكم، فافعلوا ذلك، فإن مقولته لحكمة، وفعله لغرض. واللّه ﷻ قد فضل بعض الخلق على بعض بما أوتوا من الإيمان والعلم، واللّه بما تعلمون خبير.

ما ترشد إليه الآية:

١- طاعة اللّه - تعالى- وطاعة رسوله ﷺ وكذا ولي الأمر.

٢- من أدب المجالس التفسح والتوسعة.

٣- درجة الإيمان والعلم لا تعدلها درجة فليس بينهم وبين الأنبياء سوى درجة واحدة .

* * *

النداء الثالث
أدب الحديث مع رسول الله ﷺ

قوله - تعالى-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٢، ١٣].

لما نهى الله ﷻ في الآيات السابقة عن بعض المناجاة، وجوّز البعض الآخر قيّد هذا البعض بالنسبة للنبي ﷺ الرءوف الرحيم بأمته، ولما كان حب الله - تعالى- وحب رسوله ﷺ من الإيمان حرص المسلمون على إطالة الجلوس معه، وكثرة الحديث وإن كان بعيدًا عن شئون الدين مضيعًا لمصالح الدنيا وضرورياتها، ومن ثم جاء هذا التقييد.

يقول فضيلة الشيخ الإمام الغزالي: الكمال البشري جدير بالحب حيث كان، إلا أن عاطفة الالتفاف حول الرسول والجلوس معه لابد من تنظيمها حتى تستقيم شئون الدنيا والدين، وحتى يجد وقتًا يخلص فيه إلى نفسه وأهله، ولذلك نزلت الآية [1].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله، إذا سارررتم الرسول فقدموا قبل أن تساروه صدقة، تعظيمًا له ﷺ وتخفيفًا عنه من كثرة المناجين، وأن يكون ذلك سببًا لأن يتصدقوا فيؤجروا، ذلك التصدق خير لكم؛ لأن فيه أداء واجب وتحصيل ثواب، وأدعى لكم إلى مجانبة المعاصي وتركها وأزكى لكم تتطهرون بذلك بمناجاته كما تتقدم الطهارة على الصلاة. فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فإن الله غفور يستر عليكم ترك ذلك، ويرحمكم وينعم عليكم.

أخفتم الفاقة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم، فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم لتقصيركم فيه، فأقيموا الصلاة بأركانها

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي، للشيخ الغزالي.

وشروطها وآتوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم إلى مستحقيها، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، وأطيعوا رسوله أيضًا، والله عليم بأعمالكم من طاعة ومعصية وحسن وقبح فيجازيكم بها.

الآية بين النسخ والإحكام :

يرى بعض العلماء أن الآية الأولى التي أوجبت على المناجي الصدقة منسوخة بفريضة الزكاة، وعليه ففي هذا دلالة على جواز النسخ قبل الفعل. وأن ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا بعدي، كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهمًا، فتصدقت به، ثم ناجيت الرسول ﷺ [1] ضعيف؛ لأن الله - تعالى- قال: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾، وهذا يدل على أن أحدًا لم يتصدق بشيء [2].

ويرى البعض الآخر أن الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية.

وقيل: لا نسخ بحجة أن الآية الثانية بيان للصدقة المأمور بها في الأولى، وأنه يصح أن تكون صدقة غير مالية، من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله.

يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني: وأنت خبير بأن هذا ضرب من التكلف في التأويل، يأباه ما هو معروف من معنى الصدقة حتى أصبح لفظها حقيقة عرفية في البذل المالي وحده.

وقيل :إن وجوب تقديم الصدقة إنما زال بزوال سببه وهو تمييز المنافق من غيره.

يقول صاحب مناهل العرفان: وهذا مردود بأن كل حكم منسوخ فإنما نسخه الله لحكمة، من نحو مصلحة، أو سبب كان يرتبط به

---

(١) **ضعيف:** رواه الحاكم في المستدرك (٥٢٤/٢) حديث (٣٧٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٣/٦) حديث (٣٢١٢٥) . وفي إسناده ليث بن أبي سليم صدوق قد اختلط، ولم يتميز حديثه: فترك .

(٢) انظر: تفسير القرطبي .

الحكم الأول، ثم زالت تلك المصلحة أو ذلك السبب[1].

وأما التنصيص على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة دون غيرهما، فلأنّهما أم العبادات البدنية والمالية، ولأن من قام بهما خير قيام، فقد قام بجميع حقوق الله - تعالى- وحقوق عباده، ولهذا قال بعدهما: ﴿ وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ﴾ .

ما ترشد إليه الآيات:

١- وجوب تعظيم الله - تعالى- وتعظيم رسوله ﷺ.

٢- أن الصدقة طهارة للمتصدق وماله، وفيه فوائد عظيمة.

٣- أن الضرورات تبيح المحظورات.

٤- أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أعظم أركان الإسلام، ولهذا قرن الله بينهما في كثير من آيات القرآن الكريم.

٥- أن القصد في الأسئلة مطلوب، وكثرة السؤال غير مرغوب فيه.

٦- أن الله - تعالى- عليم بما تخفيه الصدور، وبما تكِنّه القلوب في عالم اللاشعور، وسيجازيهم بما انطوت عليه نياتهم.

* * *

(١) مناهل العرفان (٢/٢١١) .